

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على نبيه الكريم

الأيام العشر: ذكر وتوحيد فهلموا إلى السبيل السعيد

تأليف العبد الفقير إلى الله:
أ/ المصطفى ولد إدوم أحمد غالي
داعية مستقل و باحث في العلوم الشرعية
المدير الناشر لمجلة الدعوة من بلاد شنقيط
رئيس شبكة حماية الإنسان وبيئته
22318137 /36217456 /46727242
almourabitoune@yahoo.fr

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: 102] (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: 1] (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا {70} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا {71}) [الأحزاب] ، وبعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، (وكل ضلالة في النار). ومن هدي الهادي الأمين الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ما رواه حبر هذه الأمة وترجمانها ابن عباس رضي الله عنهما حين قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام» - يعني أيام العشر - قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله» قال: «إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» أخرجه أبو داود في سننه، طباعة دار الفكر الحديث رقم: 2438 قال: حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن أبي صالح ومجاهد ومسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

وفي سنن الترمذي، باب ما جاء في العمل في الأيام العشر، 757 قال الترمذي: حدثنا هناد، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم وهو ابن أبي عمران البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء» وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعبد الهل بن عمرو وجابر، قال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن غريب صحيح، قلت: وأخرج الترمذي رواية أبي هريرة رضي الله عنه كما يلي: 758 / حدثنا أبو بكر بن نافع البصري، حدثنا مسعود بن واصل، عن

نهاس بن فهم، عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها صيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر » قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مسعود بن واصل عن النهاس، وسألت محمدا عن هذا الحديث فلم يعرفه من غير هذا الوجه مثل هذا، وقال: وقد روي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا شيء من هذا، وقد تكلم يحيى بن سعيد في نهاس بن فهم، من قبل حفظه.

كما أخرج ابن ماجه في سننه/ طباعة دار الفكر الحديث رقم 1728: قال حدثنا عمر بن شبة بن عبيدة، حدثنا مسعود بن واصل، عن النهاس بن فهم، عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما من أيام الدنيا، أيام أحب إلى الله سبحانه أن يتعبد له فيها من أيام العشر وإن صيام يوم فيها يعدل صيام سنة وليلة فيها بليلة القدر ».

وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب فضل العمل في أيام التشريق: وقال ابن عباس: واذكروا الله في أيام معلومات أيام العشر والأيام المعدودات أيام التشريق.

وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما وكبر محمد بن علي خلف الناقة، وقال البخاري: الحديث رقم 969: حدثنا محمد بن عرعة قال: حدثنا شعبة عن سليمان عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ما العمل في أيام أفضل منها في هذه، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: « ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء » ولم يكن تأريخنا لرواية البخاري بإبعاد نجعة وإنما للتشويق وإظهار تعدد الألفاظ مع تعدد الروايات ، إلى غير ذلك من صيغ الحديث وأسانيده.

وقد أقسم الله جل وعلا بهذه الأيام قائلا جل وعلا: (وَالْفَجْرِ {1} وَاللَّيْلِ عَشْرِ {2}) [الفجر]. ليظهر فضلها وعظمتها والله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ولا يجوز لمخلوق أن يقسم إلا بالله لقوله صلى الله عليه وسلم: « من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » ونص الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أدركه وهو يحلف بأبيه، فقال: « إن الله

ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله، أو ليصمت» قال عمر: فما حلفت بها بعد ذلك، ذاكراً ولا آثراً، يعني ولا حاكياً لها عن غيري، والحديث أخرجه في باب أيام الجاهلية من كتاب مناقب الأنصار، وفي باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أوجاهلاً، من كتاب الأدب، وفي باب لا تحلفوا بأبائكم من كتاب الأيمان، وفي باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها من كتاب التوحيد من صحيح البخاري؛ ومسلم في باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، من كتاب الأيمان، صحيح مسلم، كما أخرجه الترمذي في باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، وباب حدثنا قتيبة من كتاب النذور، والنسائي في باب التشديد في الحلف بغير الله تعالى، وباب الحلف بالأباء من كتاب الأيمان والنذور في المجتبى، وابن ماجه في باب النهي أن يحلف بغير الله من كتاب الكفارات من سنن ابن ماجه، والإمام مالك في باب جامع الأيمان من كتاب الأيمان والنذور من الموطأ والإمام أحمد في المسند، إلخ...

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» أخرجه الترمذي في باب حدثنا قتيبة من كتاب النذور والإمام أحمد في المسند، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من حلف بملء غير الإسلام كاذباً، فهو كما قال**» أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والإمام أحمد في المسند.

قال ابن قدامة المقدسي في كتابه المغني ج: 4، ص: 443، طباعة هجر: «وأيام عشر ذي الحجة كلها شريفة مفضلة يضاعف العمل فيها، ويستحب الإجتهد في العبادة فيها؛ لما روى ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام العشر قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء**» وهو حديث حسن صحيح، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما من أيام أحب إلى الله عز وجل أن يتعبَّد له فيها، من عشر ذي الحجة، يُعدَّلُ صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر**» وهذا حديث غريب أخرجه الترمذي، وروى أبو داود، بإسناده عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء. قلت

والحديث الأخير أخرجه أبو داود في باب صوم العشر، من كتاب الصيام من سنن أبي دود، كما أخرجه النسائي في باب كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، من كتاب الصيام من سنن النسائي والإمام أحمد في المسند. قلت وستأتي الأحاديث المبرزة لفضل هذه الأيام العشر من ذي الحجة في البحث التالي:

الباب الأول: سر فضل هذه الأيام

إن سر فضل هذه الأيام هو الذي دفعني إلى الكلام في المساجد في هذه الأيام بغية تنبيه بعض الأئمة والدعاة والأعلام على سر تفضيل هذه الأيام ألا وهو التوحيد الذي أرشد إليه سيد الأنام ومن جاء قبله من الرسل الكرام وبينه الديان الرحمن في القرآن حيث قال في سورة الأعراف: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ {172} أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ {173}) [الأعراف] فهذا الميثاق أخذه الله جل و علا - كما سيأتي تفصيل ذلك - في هذه الأيام العشر لذلك أقسم الله بها قائلاً جل و علا: (وَالْفَجْرِ {1} وَلَيَالٍ عَشْرٍ {2}) [الفجر] فجاءت الرسل تنرى على فترة من الزمن تذكر بهذا الميثاق القديم وتبين أنه النهج السليم وتحذر من اعوجاج كل لنيم صاحب فهم سقيم قائد إلى الجحيم، قال تعالى في سورة الحج: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ {3} كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآتَهُ فُلُوقَهُ وَيُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ {4}) [الحج] فكان لا بد من تبين هذا الميثاق وأهميته ومكانته في إصلاح الناس والنفوس.

الفصل الأول: كيف ومتى وأين أخذ علينا هذا الميثاق؟

لما كان هذا الميثاق هو سر وجود الثقلين، قال جل و علا في سورة الذاريات: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {56} مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا {57} إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ {58}) [الذاريات]. وكان أثره عظيماً على النفوس التي وعته وأدركت حقيقته وخطورة الغفلة عنه: قال تعالى بعدما أقررنا قائلين جميعاً: (بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) كما أنه يجب علينا أن ندرك خطورة تقبل ما وجدنا عليه الآباء من بدع كفرية وغير كفرية فقال لنا جل

وعلا محذرا: (أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) [الأعراف: 173]. كل ذلك دفعنا إلى تبيين كيف ومتى وأين أخذ الله جل وعلا علينا الميثاق؟ قال محمد بن علي الشوكاني في تفسيره "فتح القدير" بعدما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أن الله أخذ على بني آدم هذا الميثاق بعدما استخرجهم من ظهره كما يؤخذ المشط من الشعر فذراها ذرا ثم أشهدا قائلًا: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا). وأخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذي في نواذر الأصول والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لما خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء، فأخذ أهل اليمين بيمينه وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى، وكلتا يدي الرحمن يمين، فقال: أصحاب اليمين، فاستجابوا له، فقالوا: لبيك ربنا وسعديك، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟» الحديث. فعرفنا بذلك أن الله جل وعلا لما أهبط جدنا آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض أخذ من ظهره ذريته كما يؤخذ المشط من الشعر وذراها - ونحن ما زلنا آنذاك في عالم الذر والأرواح - ثم أشهدنا قائلًا: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟) فأجبنا جميعًا: (بلى شهدنا). وقد استرسل في ذلك المفسرون نذكر هنا أقوال بعضهم:

أ/- أول هؤلاء المفسرين إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري حيث قال: يقول تعالى ذكر لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «وانذكر يا محمد ربك إذا استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم، فقررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك وإقرارهم به كما: حدثنا أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا الحسين بن محمد، قال: ثنا جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان» يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمها قبلا، فقال: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا ...الآية إلى.. بما فعل المبطلون)» [الحديث رواه أحمد في المسند حديث 2455 والنسائي في السنن الكبرى ج: 6، ص: 347، حديث رقم: 11191، وقال: وكلثوم هذا ليس بالقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ.. ولكن قال الحاكم في المستدرک بعد أن روى الحديث: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد احتج مسلم بكلثوم بن جبر تابعه الذهبي ورواه أيضا الحاكم 31/1 وقال بعد أن روى الحديث: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في

الأسماء والصفات] وقال الطبري: حدثنا عمران بن موسى قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا كلثوم بن جبر قال: سألت سعيد بن جبيرة عن قوله: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال: سألت عنها ابن عباس فقال: مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا وأشار بيده، فأخذ موثيقهم، وأشهدهم على أنفسهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) وقال الطبري: حدثنا ابن وكيع ويعقوب قالوا: ثنا ابن علي، قال: ثنا كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) قال: مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة وأخذ ميثاقهم (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) اللفظ لحديث يعقوب [رواه بهذا الإسناد ابن كثير وقال: وهذا أكثر وأثبت قلت وذلك تبعا لابن أبي حاتم الذي صحح الموقوف على حساب المرفوع بينما صحح الألباني وغيره المرفوع علما بأن هذا الحديث لا يقال فيه بالرأي إلا ماجاء مفسرا لنوع ومكان أخذ الميثاق والله أعلم.]

ب/ وقال الشوكاني في تفسيره: قوله: (وَإِذْ) منصوب بفعل مقدر معطوف على ما قبله كم ا تقدم ثم قوله: (من بني آدم) استدلل بهذا على أن المراد بالمأخوذین هنا: هم ذرية بني آدم، أخرجهم الله من أصلابهم نسلا بعد نسل، وقد ذهب إلى هذا جماعة من المفسرين، قالوا: ومعنى (أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) دلهم بخلقه على أنه خالقهم فقامت هذه الدلالة مقام الإشهاد، فتكون هذه الآية من باب التمثيل كما في قوله تعالى: (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَادِيٌّكَ وَأَوْ كَرَاهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) وقيل: المعنى: أن الله سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما فهمت به خطابه سبحانه، وقيل المراد ببني آدم نفسه كما وقع في غير هذا الموضع، والمعنى أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذر، وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا المصير إلى غيره لثبوته مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموقوفا على غيره من الصحابة ولا ملجئ للمصير إلى المجاز، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وسنذكر آخر هذا البحث إن شاء الله بعض ما ورد في ذلك، قوله: (من ظُهُورِهِمْ) هو بدل من بني آدم بدل بعض من كل، وقيل ببل اشتمال قوله: (ذُرِّيَّتَهُمْ) قرأ الكوفيون وابن كثير: (ذريتهم بالتوحيد) وهي تقع على الواحد والجمع وقرأ الباقون (ذرياتهم) بالجمع (وأشهدهم على أنفسهم) أي

أشهد كل واحد منهم (ألسنت بربكم؟) أي قائلاً: ألسنت بربكم فهو على إرادة القول(قالوا بلى شهدنا) أي على أنفسنا بأنك ربنا، قوله:(أن تقولوا) قرأ أبو عمرو بالياء التحتية في هذا وفي قوله: أو يقولوا: على الغيبة كما كان فيما قبله على الغيبة، وقرأ الباقون على الخطاب، والمعنى: كراهة أن يقولوا أو لئلا يقولوا: أي فعلنا ذلك الأخذ والإشهاد كراهة أن يقولوا: (يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)أي كون الله ربنا وحده لا شريك له، قوله : (أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ) [الأعراف 173] معطوف على(تقولوا) الأول: أي فعلنا ذلك كراهة أن تعتذروا بالغفلة أو تنسبوا الشرك إلى آبائكم دونكم و(أو) لمنع الخلو دون الجمع، فقد يعتذرون بمجموع الأمرين (من قبل) أي من قبل زماننا (وَكُنَّا نُرِيَّةَ مَنْ بَعْدِهِمْ) لا نهتدي إلى الحق ولا نعرف الصواب...

إلى أن قال: وأخرج مالك في الموطأ وأحمد في المسند وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات والضياء في المختارة: أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ) الآية، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال: « إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية ، فقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون » فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال: « إن الله إذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار».

قلت ويشهد لهذا الحديث ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه فيكون نطفة أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » أخرجه البخاري في باب ذكر الملكة من كتاب بدء الخلق، وفي باب قول الله

تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) من كتاب الأنبياء، وفي باب حدثنا أبو الوليد من كتاب القدر، وفي باب (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) من كتاب التوحيد من صحيح البخاري، كما أخرجه مسلم في باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه من كتاب القدر، وأبو داود في القدر من كتاب السنة، وغيرهم.

قلت بل حديث القبضتين الذي رواه عمر رضي الله عنه متواتر، أخرجه جلال الدين السيوطي في كتابه "قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة" تحت 68: حديث القبضتين في ذرية آدم « حديث يوم الميثاق هؤلاء في الجنة ولا أبالي »... لكنه لم يخرج فحذفه الزبيدي من كتابه: "لقط اللآلئ المتناثرة من الأخبار المتواترة" وقد خرجناه في كتابنا "فتح الرب السائر لتمييز الحديث المتواتر" كما يلي:

1/ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سئل عمر عن هذه الآية (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ) الآية، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون» فقال رجل: يا رسول الله فقيم العمل؟ فقال: «إن الله إذا خلق العبد [للنار] استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار» الحديث أخرجه مالك في الموطأ، وأحمد وعبد بن حميد، والبخاري في تاريخه، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان والآجري في الشريعة، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه، واللالكائي، والبيهقي في الأسماء والصفات.

2/ ابن عباس: أخرج حديثه السيوطي في الدر المنثور موقوفاً.
3/ أنس بن مالك: أخرجه ابن مردويه وعنه السيوطي في الدر المنثور، والآجري في الشريعة: ذكر السنن والإيمان.

4/ علي بن أبي طالب: الفريابي من غير طريق وقال: ولحديث علي رضي الله عنه طرق جماعة.

5/ هشام بن حكيم: الفريابي.

6/ عثمان بن قيس: الفريابي.

7/ عبد الله بن عمرو بن العاص: الفريابي،

وفي الباب عن: 8/ جابر بن عبد الله.

9/ عمران بن حصين، 10/ سلمان موقوفا.

11/ الحسن موقوفا. 12/ عبد الله بن عمر موقوفا ومرفوعا.

14/ قتادة السلمي ، 15/ أبي الدرداء.

وقد علق ابن عبد البر على حديث عمر في الموطأ قائلا: وهذا الحديث وإن كان عليل الإسناد فإن معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم قد روي من وجوه كثيرة والله أعلم.

قلت وأخرج الشوكاني في فتح القدير عند تفسير الآية أيضا ما يلي، قال: وأخرج أحمد والنسائي وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية نراها فنشرها بين يديه ، ثم كلمهم فقال (ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا) إلى قوله: (المبطلون)» وإسناده لا مطعن فيه، وقد أخرجه ابن أبي حاتم موقوفا على ابن عباس؛ وأخرج ابن جرير وابن مردويه في الرد على الجهمية عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) قال: أخذهم من ظهورهم كما يؤخذ المشط من الشعر فقال لهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكة: شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » وفي إسناده أحمد بن أبي ظبية أبو محمد الجرجاني قاضي قومس كان أحد الزهاد، وأخرجه النسائي في سننه، وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه، وقال ابن عدي: حدث بأحاديث كثيرة غرائب، وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر، وهؤلاء أئمة ثقات أثبات وأخرج عبد بن حميد والترمذي في نوادر الأصول والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لما خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء فأخذ أهل اليمين بيمينه وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى وكلتا يديه يمين فقال: يا أصحاب اليمين فاستجابوا له فقالوا : لبيك ربنا وسعديك، قال: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى» الحديث والأحاديث في هذا الباب كثيرة بعضها مقيد بتفسير هذه الآية وبعضها مطلق يشتمل على ذكر إخراج ذرية آدم من ظهره، وأخذ العهد عليهم كما في حديث أنس مرفوعا في الصحيحين وغيرها وأما المروي عن الصحابة في تفسير هذه الآية بإخراج ذرية آدم من صلبه في عالم الذر

وأخذ العهد عليهم وإشهادهم على أنفسهم فهي كثيرة.. وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عبد الله بن عمر في قوله: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) الآية قال: أخذهم كما يؤخذ المشط من الرأس.

وأخرج عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد بن حنبل في رواية المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن منده وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات والضيءاء في المختارة وابن عساكر في تاريخه عن أبي بن كعب في قوله: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ) الآية، قال: جمعهم جميعاً فجعلهم أرواحاً في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق ثم أشهدهم على أنفسهم.

وأخرج ابن عبد البر في التمهيد عن ابن مسعود وناس من الصحابة في تفسير الآية نحوه.

وقد سبق الشوكاني العلامة ابن كثير في تفسيره حيث قال عند تفسير هذه الآية: يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم 30) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل مولود يولد على الفطرة » وفي رواية: « على هذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ».

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ». وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله: حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني الشري بن يحيى عن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال: « ما بال أقوام يتناولون الذرية؟ » فقال رجل: يا رسول الله: أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: « إن خياركم أبناء المشركين ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها

فأبواها يهودانها وينصرانها» قال الحسن: والله لقد قال الله في كتابه: (وَادُّ أَخْذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ) الآية.

وقد رواه أحمد عن إسماعيل بن عليه عن يونس بن عبيد عن الحسن البصري به، وأخرجه النسائي في سننه من حديث هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن قال: حدثني الأسود بن سريع فذكره"، ولم يذكر قول الحسن البصري واستحضاره الآية عند ذلك.

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم، قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن أبي عمران الجويني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به؟ » قال: «فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي» أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به.

وخلاصة هذا البحث أن الله أخذ علينا جميعا هذا الميثاق ونحن لا نزال في عالم الذر، أخذنا جميعا من ظهر جدنا آدم كما يؤخذ المشط من الشعر وذرانا ذرا ثم أشهد الجميع قائلًا: (ألست بربكم؟) فأجبنا جميعا قائلين: (بلى شهدنا) ثم حذرنا أن نعذر له يوم القيامة بالغفلة أو بدعية وشرك الآباء لقوله تعالى: (أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ {172} أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

الْمُبْطِلُونَ {173}؟) [الأعراف] فكان كل مولود أئبنا ولد يولد على فطرة الإسلام لهذا الميثاق سواء ولد في بلاد الكفر من أبوين كافرين أو ولد في بلاد الإسلام من أبوين مسلمين، وهذا لا يتناقض مع قوله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [الإسراء15] ولا مع قوله تعالى: {رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء165]. فإله جل من قائل كان يرسل الرسل تترى ليذكروا بهذا الميثاق وليذروا كل من ضل عن الجادة والله أعلم.

أما فيما يخص بزمان ومكان هذا الميثاق: فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه ذرية ذراها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال: (ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا

كنا عن هذا غافلين أو... تقولوا... المبطلون) « أخرج أحمد والنسائي وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وصحاح ابن أبي حاتم وقفه وصحاح الحاكم رفعه وأخرجه ابن كثير في تفسيره والسيوطي وصححه وصحح الألباني رفعه، ولما كان هذا الحديث لا يقال من قبل الرأي فالجمهور على رفعه والله أعلم، لذلك كان فضل يوم عرفة، ومنه فضل هذه الأيام العشر لأنها فيها أخذ الله علينا هذا الميثاق الذي بموجبه كان كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو يمجسانه وغير ذلك من أثر التربية على الناشئة، فقد أخرج البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتهج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) [الروم:30] واللفظ لمسلم كما أخرج مالك في الموطأ بهذا اللفظ إلا في بداية الحديث قال: « كل مولود» بدل « ما من مولود » وهي رواية في الشيخين وخرجه محمد حبيب الله بن ما يابى في كتابه " زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم" كما خرجه صاحب "اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان" فكان حقا مرجانة ولؤلؤة لما تضمنه من مفاهيم سامية لمغازي الحياة الجارية. وفي رواية أخرى عن الأسود بن سريع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « والذي نفس محمد بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة، حتى يعرب عنها لسانها، فأبواه يمجسانه أو يهودانه أو يمجسانه » وفي رواية لهذا الحديث زيادة، قالوا: ومن مات قبل ذلك يا رسول الله؟ قال: « الله أعلم بما كانوا عاملين » وأخرجه الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي عن الحسن عنه به وفي رواية أخرى: « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني عن الأسود بن سريع، وفي رواية أخرى: « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ولما كان التوحيد الخالص سر وجود الثقلين، قال الله جل وعلا: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {56} مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا {57} إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ {58}) [الذاريات] يتبين من ذلك فضل هذا الميثاق وزمانه ومكانه - لأنه يربط العبد بربه، فبه يولد كل مولود على فطرة الإسلام، فقد أخرج مسلم عن عياض بن حمار رضي الله

عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم » وأخرجه الإمام أحمد ومسلم وغيرهما وصححه الألباني وخرجه. وإذا تأملت هذا المقام ووعيت هذا الكلام فاعلم أن الله جل وعلا ينزل إلى سماء الدنيا ويدنو من الحجيج عند هذه الكدى ليباهي ب الحجيج ملائكته كما في الأحاديث التي روتها عائشة وأبو هريرة وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، ومن هذه الأحاديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن الهى يباهي بأهل عرفات أهل السماء، يقول لهم انظروا إلى عبادي جاؤوني شعثا غربا، أشهدكم أنني قد غفرت لهم » وفي رواية: « إذا كان يوم عرفة ينزل الله إلى السماء الدنيا يباهي بهم الملائكة، فيقول انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غربا، من كل فج عميق، أشهدكم أنني قد غفرت لهم ».

كما يكثر العتق من النار في هذا اليوم ويخسأ إبليس اللعين، وهذا كاف لإبراز فضل يوم عرفة فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عبدا من النار من يوم عرفة، فإنه ليدنو عز وجل، ثم يباهي بكم الملائكة، فيقول: ماذا أراد هؤلاء؟ انظروا إلى عبادي جاؤوني شعثا غربا ، فإني أشهدكم أنني قد غفرت لهم » أخرجه مسلم في باب فضل الحج والعمرة من كتاب الحج، والنسائي في باب ما ذكر في يوم عرفة من كتاب المناسك من المجتبى وابن ماجه في باب الدعاء بعرفة من كتاب المناسك والبيهقي في باب أفضل الدعاء من كتاب الحج.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم: انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شعثا غربا » أخرجه أحمد والحاكم وابن خزيمة وابن حبان والبيهقي وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في التمهيد وفي روايات، يقول الله: « فإني أشهدكم أنني قد غفرت لهم » وفي رواية: « فإني أشهدكم أنني قد غفرت لهم ولمن يدعون له ».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة إلا كتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة فإذا وقفوا بعرفات باهى الله تعالى بهم ملائكته يقول انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غربا أشهدكم أنني غفرت ذنوبهم وإن كانت

عدد قطر السماء ورمل عالج وإذا رمى الجمار لم يدر أحد ما له حتى يوفيه الله تعالى يوم القيامة وإذا حلق شعره فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة وإذا قضى آخر طوافه بالببيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» أخرج ابن حبان في صحيحه والبخاري في مسنده والطبراني وحسنه المنذري والهيثمي وغيرهما.

فهذه الفطرة جعلت هذا الكون لا ينسجم ولا يتناغم إلا بالتوحيد الخالص ويشمئز ويتنافر بالشرك والكفر، قال تعالى مخبراً عما وقع لهذا الكون من اشمزاز وانفصام عندما دعا النصارى للرحمن الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولدا: (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا {89} تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا {90} أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا {91} وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا {92} إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا {93}) [مريم].

في حين أخبر أن كل شيء في هذا الكون يسبح بحمد ربه ولكن لا نفقه تسبيحه، قال تعالى: (قُلْ لَوْ كَانُ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا {42} سُبْحَانَہُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا {43} تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا {44}) [الإسراء]. وقال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَمَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ) [النحل:36].

ولما كانت هذه الأيام العشر تساعد على تناغم الكون وانسجامه بالذكر والتوحيد وتلبية الحجاج « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك » كانت نفحات الله تنزل، ورحمته تغمر عباده، فعلينا أن نتعرض لهذه النفحات بالذكر والتوحيد وتوظيف الأوقات بالباقيات الصالحات، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولكن هذا الميثاق الذي أخذه الله علينا يوم عرفة لم يقتصر على قوله جل وعلا: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟) وإقرارنا له قائلين: (بَلَى) وإنما تجاوز هذا الإقرار والتقرير إلى التنبيه والتحذير لقوله جل وعلا: (أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ {172} أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ {173}؟) فهذا التنبيه وهذا التحذير يفيدان أولاً أن الإنسان – كل إنسان كما تقدم – يولد على فطرة الإسلام أينما ولد

سواء ولد في الشرق أو الغرب، في بلاد الإسلام أم في بلاد الكفر، في الشمال أو الجنوب، في إفريقيا أو آسيا أو أوروبا أو أمريكا الخ.. ثم يأتي دور التكوين والتأطير، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

وقد ذهب بعض المفسرين انطلاقاً من هذا الميثاق، إلى القول بأن الله جل وعلا كان بإمكانه أن لا يرسل رسولا بعد هذا الميثاق الذي أخذه على عباده وهم لا يزالون في عالم الغيب وعالم الذر إلا أنه رحمة بعباده ورأفة بهم كان كلما زاغت الأمم وحادت عن الجادة بسبب تراكم البدع والانحرافات أرسل إليهم رسولا يذكرهم بهذا الميثاق ويعيدهم إلى الطريق المستقيم، وقد جاءت أي الذكر الحكيم تبرز أن الرسل والرسالات إنما هي تذكرة، بشارة ونذارة، قال الله جل وعلا في سورة طه: (طه {1} مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى {2} إِلَّا تَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى {3} تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى {4} الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى {5}) [طه] وقال في سورة الحاقة: (وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ) [الحاقة: 48] وقال تعالى: (إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) [المزمل: 19] وقال في سورة عبس: (كَلَّا إِنَّهَا تَذِكْرَةٌ) [عبس: 11] وقال جل من قائل في سورة الإسراء: (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [الآية: 105] وقال تعالى في سورة الفرقان: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) [الآية: 1] وقال: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [الآية: 56] وقال تعالى: (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {45} وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا {46} وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَن لَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا {47}) [الأحزاب] وقال تعالى في سورة سبأ: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَلِمَةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [الآية: 28] وقال تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) [فاطر: 24]... الخ.

والآيات المبينة لهذا الميثاق والمؤكدة بأن جميع الرسالات السماوية إنما جاءت مذكرة ومؤكدة عليه تدور حول فحواه لذلك كانت كلها نذارة وبشارة وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: « أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » أخرجه أحمد ومسلم والبيهقي واللفظ لمسلم، وقال جل وعلا في سورة فصلت: (حم {1} تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {2} كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {3} بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ {4}) [حم]. وقال جل وعلا في سورة الفتح:

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {8} لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزُّوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا {9} [الفتح].

وهكذا يتبين من خلال آي الذكر الحكيم أساس هذا الميثاق القديم لمن هداهم الله للنهج القويم والصرراط المستقيم وخاصة في موسم الحج السليم وأيام الذكر الكريم.

قال تعالى في سورة الحج: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ {27} لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ {28} ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ {29} ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ {30} حُنْفَاءَ اللَّهِ عَيْرٍ مُّشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ {31} ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ {32} لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ {33} وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ {34} الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ {35} وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {36} لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ {37} إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ {38}) [الحج].

إن هذه الآيات الكريمة تبرز المغزى من الحج وفضل هذه الأيام المعلومات حيث التوحيد والذكر والتمجيد وتعظيم الله الواحد الأحد، وكل الحناجر تدوي بالتلبية والتوحيد « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » طيلة جل هذه الأيام وخاصة أيام الثامن والتاسع والعاشر ثم الأيام المعدودات وهي أيام التشريق بمنى، وقد بين ذلك أيضا في سورة البقرة قائلا جل وعلا: (وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {196} الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ

الزَادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ {197} لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا
فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِن الضَّالِّينَ {198} ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ
حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {199} فَإِذَا قَضَيْتُمْ
مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا
آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ {200} وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا
آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ {201} أُولَئِكَ لَهُمْ
نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ {202} وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ
مَّعْدُودَاتٍ فَمِن تَعْجَلٍ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ
اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {203} ([البقرة].

الفصل الثاني: الفرق بين العشر الأواخر من رمضان وهذه الأيام

هذه مسألة كثيرا ما يخوض فيها الخائضون مع أن حقيقة التفضيل بين
العشر الأواخر من رمضان والعشر الأواخر من الحج التي هي الأوائل من
شهر ذي الحجة قد لا تخفى إلا على الغبي.

لا شك أن ليالي العشر الأواخر من رمضان عظيمة كثيرة الأجر لذلك صح

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا دخلت هذه العشر شد المنزر وأيقظ
أهله وأقام ليله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، أحياء الليل، وأيقظ
أهله، وشد المنزر » أخرجه البخاري في باب العمل في العشر الأواخر من

رمضان من كتاب ليلة القدر/ صحيح البخاري، ومسلم في باب الاجتهاد في
العشر الأواخر من رمضان من كتاب الاعتكاف/ صحيح مسلم، وأبو داود

في باب قيام شهر رمضان من كتاب الصلاة، والنسائي في باب إحياء الليل
من كتاب قيام الليل وتطوع النهار وابن ماجه في باب فضل العشر الأواخر

من شهر رمضان من كتاب الصيام، وأحمد في مسنده. قلت وذلك لأن في

الليالي العشر الأخيرة من رمضان ليلة القدر التي بين الله فضلها قائلاً جل
وعلا: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ {1} وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ {2} لَيْلَةُ

الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ {3} تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ
أَمْرٍ {4} سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ {5}) [القدر].

وقال جل وعلا: (حم {1} وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ {2} إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ
إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ {3} فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ {4} أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا

مُرْسَلِينَ {5} ([الدخان] وهذا يفصل ويبين أن القرآن أنزل ليلة القدر في قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) [البقرة: 185] الآية قال الشنقيطي في تفسيره: لم يبين الله هنا هل القرآن أنزل ليلاً أو نهاراً لكن بينه في القدر والدخان. فكانت هذه الليالي العشر من رمضان هي أفضل ليالي السنة لمن وفقه الله قيامها كما كانت هذه الأيام العشر من شهر ذي الحجة والأخيرة من أشهر الحج هي أفضل أيام السنة على الإطلاق لأن فيها يوم عرفة أو عرفات حيث أخذ الله علينا فيه ذلك الميثاق الذي بموجبه أصبح كل مولود يولد على فطرة الإسلام أو فطرة أبيه وهو يوم مباحة يباهي الله بالحجيج ملائكته، وهو يوم أكثر ما يعتق الله فيه من النار، فكان دعاؤه مستجاباً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبئون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»** أخرجه أحمد ومسلم والبيهقي غيرهم.

فائدة: لما كان فضل الليالي العشر الأخيرة من رمضان متوقفة على توفيق المرء لقيامها، وكان أهم أسباب التوفيق لذلك القيام هو العمل بالميثاق الذي أخذه الله علينا يوم عرفة ونحن لا نزال في عالم النذر والغيب قائلاً جل وعلا: (**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا إِنَّا تَقَوَّلُوا مَا لَا يَكُنَّا عَلَيهِمْ عَاقِلِينَ {172}** أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ {173}؟) ومن المعلوم أن العلماء أجمعوا على أن العبادة – أي عبادة – لا يتقبلها الله إلا إذا توفرت فيها ثلاثة شروط هي:

- 1/ أن تكون صادرة من مؤمن صحيح العقيدة.
- 2/ أن تكون موافقة لشرع الله لأن الله لا يعبد إلا بما شرع.
- 3/ أن يكون قد أداها بإخلاص بعيداً عن جميع أمراض القلوب من تسميع ومراعاة ورياء، وكبر، وعجب إلخ.. عندئذ يتبين فضل هذا الميثاق والأيام التي أخذ فيها وخاصة يوم عرفة حيث أخذ الله علينا هذا الميثاق، فكان أكثر ما يعتق فيه الله من النار في يوم عرفة لما في الأحاديث المتقدمة التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية عائشة وابن عمر وأبي هريرة وجابر رضي الله عنهم والله جل وعلا أعلم.

الفصل الثالث: كيف نحافظ على هذا الميثاق؟

لقد أضل الله جل وعلا عن هذا الميثاق الأمم التي قبلنا. فكيف نحافظ عليه ونبقى متمسكين به؟ إن التمسك بهذا الميثاق يتطلب منا التمسك بخمس نقاط أساسية تتعلق كلها بالتوحيد، ألا وهي:

1/ **اليقين في الله جل وعلا:** إن اليقين في الله هو الخلاص من النفاق والضمان لاتباع الجادة. ومن المعلوم أن إيمان الأنبياء والرسل يزيد ولا ينقص بينما إيمان بني آدم المتبقيين يزيد وينقص عند الجمهور. وقد طلب أولو العزم من الرسل البرهان ليزدادوا إيمانا.

قال إبراهيم، خليل الرحمن { رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي* قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم { [البقرة:] قال النبي صلى الله عليه وسلم: "نحن أولى بالشك من إبراهيم"، وذلك لأن طلبه نابع من اليقين ومن أجل المزيد من اليقين .

وقال موسى، كليم الله: { رب أرني أنظر إليك؟ قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني * فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا * فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك، الخ... لذلك كان إيمان سحرة فرعون من أبلغ وأقوى الإيمان لما تبين لهم الحق من عند الله { قالوا آما برب هارون وموسى، قال: آمنتم له قبل أن آذن لكم، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى * قالوا لن نوثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آما بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى }، فهكذا ينبغي أن يكون المسلم - بل يجب لأن الايمان جزم.

ولكي نتحصل على هذا الإيمان الجازم الذي لا يقبل الشك لا بد من اليقين من خلال البراهين، وإن أبلغ برهان وأكثره تأثيرا ما أثر في وجدان فطالحة علم الأجنة والفيتولوجيا، نقدم منه النبذة التالية: قال جل وعلا في سورة الحج { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا

وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ (*) ذَلِكَ بَأْنُ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور { 5 و6 و7 } وقال جل وعلا في سورة المؤمنون { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (*) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (*) ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكِ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (*) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (*) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ } (من 12 إلى 16) فهذه الآيات تنبه الغافل الشاك في البعث، الجهول إلى أن أطوار خلق الإنسان تثبت أن البعث لا محالة واقع، هيهات هيهات أت، وما بعد ذلك البعث من حساب وعقاب، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تَرَابٍ): قال في كتاب "الله والعلم الحديث": "وقد أثبت العلم أن جسم الإنسان يحتوي من العناصر ما تحتويه الأرض، فهو يتكون من الكربون والأكسجين، والأيدروجين، والفوسفور، والكبريت، والأزوت، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والصوديوم، والكلور، وال م غنسيوم، والحديد، والمنجنيز، والنحاس، واليود، والفلورين، والكوبالت، والزنك، والسلكون، والألمنيوم، وهذه نفسها هي العناصر المكونة للتراب وإن اختلفت نسبتها في إنسان عن آخر، وفي الإنسان عن التراب، إلا أن أصنافها واحدة" ثم ذكر جل وعلا أطوار هذا الخلق في سورة الحج ثم ذكر بهذه الأطوار حيث بدأ بقوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ } وختم الآيات بقوله تعالى { ذَلِكَ بَأْنُ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّهُ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ } ثم ذكر بهذه الأطوار في عدة سور منها سورة "المؤمنون" ليختمها بقوله تعالى { ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ } فهذه منشورات الإعجاز العلمي للقرآن والسنة تحكي علينا وقائع المؤتمر الثامن الطبي السعودي وانطباع كبار الباحثين في طب الأجنة والأحياء في العالم نلخصها فيما يلي:

1) البروفيسور والباحث الكبير "إسميث إل مور" من أكبر علماء العالم في التشريح وعلم الأجنة إذا به يندهش عند سماعه هذه الأطوار ويقول (كيف يكون لمحمد (صلى الله عليه وسلم) قبل 1400 عام أن يصف الجنين وأطواره هذا الوصف الدقيق الذي لم يتمكن العلماء من معرفته إلا

منذ 30 عاما؟ ويضيف هذا المنشور قائلا: "وسر عانما تحولت دهشته إلى إعجاب بهذا البيان وهذا الهدى فتبني هذه الآراء في المجامع العلمية ثم قدم محاضرة تحت عنوان "مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة" حيث قال: "لقد أسعدني جدا أن أشارك في توضيح هذه الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الخلق في القرآن الكريم والحديث الشريف ويتضح لي أن هذه الأدلة حتما جاءت لمحمد صلى الله عليه وسلم من عند الله لأن كل هذه المعلومات لم تكتشف إلا حديثا وبعد قرون عدة وهذا يثبت لي أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم" ولهذا البروفيسور كتاب "أطوار خلق الإنسان" وهو مرجع علمي عالمي طبع بثمان لغات، فأضاف في الطبعة الثالثة من كتابه ما يلي: كان تقدم العلوم في العصور الوسطى بطيئا، ولم نعلم عن علم الأجنة إلا الشيء القليل وفي القرآن الكريم – الكتاب المقدس لدى المسلمين – ورد أن الإنسان يخلق من مزيج من الإفرازات من الذكر والأنثى، وقد وردت عدة إشارات بأن الإنسان يخلق من نطفة من المنى، وبين أيضا أن النطفة قد بدأت في الانقسام تبدأ في النمو بعد ستة أيام من الإخصاب، ويقول القرآن الكريم أيضا: إن نطفة (المنى) تتطور لتصبح قطعة من دم جامد (علقة) وأن البيضة الملقحة بعد أن تكون قد بدأت في الانقسام أو أن البيضة الملقحة التي بدأت بالانقسام أو الحمل المجهض تلقائيا يمكن أن تشبه العلقة، ويمكن رؤية مظهر الجنين في تلك المرحلة، إنه يشبه العلقة، وفي المضغة تبدو الصورة وكأن فيها آثار الأسنان التي مضغتها، في هذه المرحلة يشبه الجنين شيئا ممضوغا كاللباب أو الخشب، ولقد اعتبر الجنين في الشكل الإنساني مضي أربعين أو اثنين وأربعين يوما حيث لم يعد يشبه بعدها جنين الحيوان، لأن الجنين البشري يبدأ باكتساب مميزات الإنسان في هذه المرحلة" قلت ولنتأمل قوله تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى نُصْرَفُونَ) (الزمر: 6) فهذه الظلمات حسب الخبراء الفطاحلة المتخصصين هي: أ) جدار البطن الخارجي للمرأة، ب) جدار الرحم، أو جدار الغشاء أو المشيمة الممتلئ بالماء المينوسي والذي يحمل مواد غذائية معروفة عندهم "بالأنزيمات" التي يتغذى بها الجنين بواسطة الحبل السري كما يقوم بوقايته حتى لا تتهشم عظامه الهشة وهو يسبح في الرحم كما أن هذا الماء يقوم بعملية تعقيم طريق الجنين بالخروج قبله عند ولادته فسبحان الخالق القائل

عز وجل (سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت: 53)

وكذلك أخذت الدهشة البروفيسور مَارْشَالْ جُونْسُونُ رئيس قسم التشريح ومدير معهد دَانْيَالْ بجامعة تُوْمَاسْ جِيْفَرْسُونُ "بِفِيْلَادَلْفِيَا بالولايات المتحدة الأمريكية في قاعة المؤتمر الطبي السعودي الثامن عندما أخبروه بأطوار الخلق في القرآن والسنة قبل 1400 سنة، كان هذا البروفيسور جالسا فوقف يصيح ويردد: لا، لا، لا، فقاموا إليه وقدموا إليه المصحف وقالوا له تفضل إقرأ، وقرؤوا عليه قوله سبحانه وتعالى (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا(14) (نوح 13، 14) وقرأ ترجمة معاني الكلمات بالانجليزية ثم قرؤوا عليه قول الله سبحانه وتعالى (يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُصْرَفُونَ)(الزمر:6) فجلس فقال: ولكن هذا يمكن أن يكون له ثلاثة تفسيرات: الأول يمكن أن يكون صدفة، فجمعوا له أكثر من خمسة وعشرين نصا ووضعوها بين يديه وقالوا: كل هذه النصوص قد تكون صدفة، ثم إن القرآن العظيم قد أعطى لهذه الأطوار أسماء: هذا: نطفة، والذي بعده علقة، والذي بعده مضغة، والذي بعده العظام، والذي بعده كساء العظام باللحم، إنه سمي هذه الأطوار بأسماء، أيكون هذا صدفة؟ فقال: لا، فقالوا فما ذا بقي؟ قال: يمكن أن يقال: إن محمدا عنده ميكروسكوبات ضخمة، لكنه لما رجع إلى صوابه تبنى هذه الأطوار، فقال: (إن القرآن في الواقع شرح المراحل الخارجية ولكنه يؤكد أيضا المراحل التي داخل الجنين أثناء خلقه وتطوره، مؤكدا أحداثا رئيسية تعرف عليها العلماء المعاصرون."

وقد أخذت هذه الدهشة أيضا البروفيسور جُولِي سَمْسُونُ أستاذ أمراض النساء والولادة في جامعة تُوْرْتْ وَسُوْبِتُونُ فِي شِيكَاغُو بالولايات المتحدة الأمريكية فشكك في أول الأمر أن النصوص نصوص القرآن والسنة قال تعالى: (قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ)(عبس 17، 19) فركز هذا الأستاذ بعد ذلك على الحديثين التاليين، الأول منهما: عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن خلق أحدكم ليجمع في بطن أمه فيكون نطفة أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله، وشقي أو

سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل عمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" أخرجه البخاري [في باب ذكر الملائكة من كتاب بدء الخلق، وفي باب قول الله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة" من كتاب الأنبياء، وفي باب حدثنا أبو الوليد من كتاب القدر وفي باب " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين " من كتاب التوحيد من صحيح البخاري]، كما أخرجه مسلم في [باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه من كتاب القدر]، وأبو داود في القدر من كتاب السنة، وغيرهم، وأما الحديث الثاني أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثم قال: يا رب أذكر أو أنثى؟ فيقضي ربك ما يشاء" فأذن هذا البروفيسور لهذه الحقائق العلمية الإلهية والنبوية مثله في ذلك البروفيسور بُرْسُوْدُ رَيْسِ قِسم التشريح بكلية الطب بميثتويًا بكندا فقد أدهشه الفارق الواقع بين صورة الجنين في اليوم الخامس والثلاثين إذ لا تتميز فيه صورة إنسان أو حتى حيوان – وصورة الجنين بعد اثنين وأربعين يوماً إذ تبدو واضحة المعالم – فسبحان الذي أتقن كل شيء خلقه، كما يؤكد لنا البروفيسور ج.س. جُورْنَجِيرُ أستاذ في كلية الطب – قسم التشريح – في جامعة جُورْجِ تَاوْنُ في واشنطن في مداخلة له بمناسبة المؤتمر الطبي الثامن السعودي حيث قال: إنه [القرآن] وصف التطور البشري منذ تكوين النطفة الأمشاج إلى أن أصبحت كتلة عضوية، إن هذا الوصف والإيضاحات الجلية والشاملة لكل مرحلة من مراحل تطور الجنين في معظم الحالات – إن لم يكن في جميعها.. الخ، فهذه مقتطفات من شهادة عمالقة علم التشريح والأجنة أبهرتهم آيات جليظة عبرت عن دلائل الحق الجميلة مصداقاً لقوله عز وجل: **(وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)** (سبا 6) هذه الدلائل الجمالية الكونية لهذه الآيات الإلهية وهذه الأحاديث النبوية لتشهد أنه الحق من ربكم، مصداقاً لقوله تعالى: **(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (93) (النمل 93)** وقوله جل وعلا: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى**

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت : 53) لقد زعم بعض المتفهبين كفر أوردة من يقول بأن الجنين يرى من خلال (الميكروسكوب أو التيلسكوب) المجهر الكبير، بل ورماني شخصياً بالارتداد والعياذ بالله لأنه في رأيه السقيم يكذب قوله جل وعلا: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان: 34) قلت هذه الآية محكمة لأنها تتعلق بالغيب والتوحيد وهذا مما لا يتعرض للنسخ، ولا شك أن الله جل وعلا وحده هو الذي يعلم علم الساعة ومتى تتحقق الظروف المناخية الماطرة، ومتى يتم تخصيب البيضة وما تمر به من انقسامات حتى يصورها الملك وهنا يؤكد أن سياق الآيات التي تذكر أطوار الخلق توحى بجواز معرفتها لأن الله جل وعلا ذكرها كبرهان علي وجود البعث والحساب والعقاب وأنواع الغيب الأخرى، قال تعالى: (يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ) الآية شاملة للشرط وجوابه، وقال تعالى: (ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) فظاهر الآيات أن الله ذكرها للإطلاع عليها والاعتاظ بها، للتأكد من أن الأطوار القادمة كالبعث، والحساب والعقاب، والميزان، والخلود في الجنة أو في النار.. الخ هيات هيات أت، ليتحصل الإيمان الجازم وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى : (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) وقوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) فإن الله اختص بمعرفة ما سيكون أو ما هو موجود في الرحم منذ تخصيب البيضة إلى أن يبعث الملك لتصويرها بعد 42 يوماً وتحديد جنسها ذكر أو أنثى.. الخ، لذلك لا يتضح الشكل الجنيني الإنساني عن الحيوان إلا في هذا الوقت، ولا يبدأ في التحرك إلا في الفترة التي حددها الحديث، حينئذ تطمئن نفوسنا بأن ما عندنا هو الحق، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، فإذا كان أولو العزم من الرسل طلبوا البرهان لتطمئن قلوبهم لأن إيمانهم يزداد ولا ينقص فكيف بنا نحن حيث إيماننا يزداد وينقص وخاصة أن الإيمان جزم لا يقبل الريب فإذا تأكدت، أخي القارئ، الباحث عن الحق والحق وحده، لأن الحق أحق أن يتبع، من هذه الدلالات العلمية الكونية لهذه الأطوار كما في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لأنه برهان واضح من رب العلمين يبين لنا من خلال ما نراه اليوم من وراء الميكروسكوبات أو التلسكوبات أن الأطوار القادمة لا محالة آتية وهو قوله تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ

لا ريب فيها وأن الله يبعث نـت في القبور } أما من ينفي ما نراه من وراء الميكروسكوب أو التيلسكوب فإن مآله النفاق أو الزندقة لأنه إما يكذب الحق جل وعلا إذ لم يفهم ما قاله أو يخفي التكذيب وهذا هو صفة الزندقة والعياذ بالله .

2/ الشرط الثاني: اعتقاد الربوبية: وهو يفتضي الإقرار بأن الله خلقنا وخلق كل شيء ثم أرسل إلينا رسولا خاتما لرسله التي جاءت تنرى على فترة من الزمن فمن أطاعه واتبعه واهتدى بهديه أفلح ونجا ومن عصاه ضل وهجا، قال الله جل وعلا : { فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم } " {محمد: 20} وقال جل وعلا : { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو * {المؤمنون: 116/117}. وقال جل وعلا في سورة النمل : { قل الحمد لله وسلام على عباده الذين أصطفى ءالله خير أما تشركون * أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أـله مع الله بل هم قوم يعدلون * أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أـله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون * أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أـله مع الله قليلا ما تذكرون * أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بين يدي رحمته أـله مع الله تعالى الله عما يشركون * أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أـله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين } { الآيات من 60 إلى 66 } .

فإذا تأكدت من أن الله جل وعلا هو الذي خلق كل شيء وهذا إيمان فطري يؤمن به كل مخلوق إلا الملحد المادي الذي يقول "لا إله والحياة مادة" لعنه الله وأفضح ذوقه السقيم وفهمه اللئيم ونهجه الهادي إلى الجحيم – فقد أخبرنا الله جل وعلا أن كفار قريش أمثال أبي لهب وأبي جهل والحارث وأمـية وغيرهم كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء، قال الله تعالى في سورة الزمر: { ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون } { الآية 36 } .

(3) **الشرط الثالث من أصول التوحيد** : أصل الألوهية أو أصل العبادة: وهو القصد من خلق الخالق لكل مخلوق وخاصة لخلق الثقلين، لقوله جل وعلا: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين } {الذاريات: 56 - 57} وقال جل وعلا فيما أوجب علينا قراءته على الأقل سبع عشرة مرة في اليوم والليلة إذ لا تصح صلاة عند الجمهور إلا بقراءة الفاتحة – ومنها قوله جل وعلا: {إياك نعبد وإياك نستعين } {الفاتحة 5} فهذه الآية القصيرة جمعت الأصلين الأولين: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة، وقد أجمع الأصوليون واللغويون البلاغيون في باب الخطاب وحصره على أن تقديم الموصوف على الصفة من أقوى صيغ الحصر. فقوله تعالى: {وما هم بخارجين من النار} يفيد أن غيرهم يخرج منها بسبب أنواع الشفاعات كما بينا ذلك في كتابنا "كتاب تصحيح الاعتقاد لمن أراد التوبة من العباد" باب الشفاعة في تعقيبنا على فضيلة الشيخ سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم. فقوله جل وعلا {إياك نعبد وإياك نستعين} يفيد حصر العبادة لله جل وعلا أي أننا لا نعبد سواك ولا نستعين إلا بك ولهذا قال جل وعلا: {فاعبده وتوكل عليه} {هود: 11}. وقال جل وعلا {وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون} {إبراهيم: 15} وقال تعالى: {فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم} {التوبة: 130}. وقال جل وعلا: {قل هو الرحمن أمنا به وعليه توكلنا} {الملك: 29}. وقال تعالى: {رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو، فاتخذة وكيلا} {المزمل: 8}.

4/ الشرط الرابع : **توحيد الأسماء والصفات** : فالأصل فيه اتباع السلف الصالح من القرون المزكاة نلخصه في أقوال الأئمة: أولا قول الإمام مالك بن أنس حين سأله أحد المبتدعة: **الرحمن على العرش استوى** ، كيف استوى؟ فأطرق حتى علتة الرخصاء {يعني العرق} ثم قال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، وقد نقل عنه الحافظ ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن عيينة وفي الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قالوا: أمرها كما جاءت نحو حديث تنزل الله وأن الله خلق آدم على صورته، وأنه يدخل قدمه في جهنم وما كان في مثل هذه الأحاديث وقد شرحنا القول في هذا الباب من جهة النظر والأثر وبسطناه في التمهيد."

وقال الإمام الشافعي: "أمنت بما جاء من عند الله على مراد الله به، وعقولنا معزولة عن التفكير في حقيقة ذاته، قاصرة عن الإحاطة بكنه صفاته": وقال الإمام أحمد بن حنبل "كل ما يخطر ببالك فالله بخلاف ذلك" قلت وذلك لأنك بصفتك مخلوقا لا يمكنك أن تتصور إلا صفة مخلوق والله جل وعلا غير مخلوق فصفاته غير مخلوقة، فالصفة فرع من الذات ولما كانت الذات مخالفة للذوات كانت صفات الله مخالفة للصفات" فمن باينت ذاته الذوات باينت صفاته الصفات" فهذه قاعدة ثمينة تمسك بها وأطردها في جميع الصفات.

15/ الشرط الخامس: لا يعبد الله إلا بما شرع: وهذا الأصل يقتضي الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه في جميع الأمور، فالله لا يعبد إلا بما شرع، والإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقتضي العمل بما جاء به، قال الله جل وعلا: **{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا حرجا فيما قضيت ويسلموا تسليما}** وقال تعالى **{قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم}** [ءال عمران:]، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد"** أخرجه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم رواها البخاري تعليقا: **"من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"**، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته"** رواه المنذري في "الترغيب والترهيب" وقال: رواه الطبراني بإسناد حسن، ورواه ابن ماجه وابن أبي عاصم في كتاب "السنة" من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ: **"أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته"**، كما روى أيضا من حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما، ولا صلاة، ولا حجا، ولا عمرة، ولا جهادا، ولا صرفا، ولا عدلا، يخرج من الإسلام كما يخرج الشعر من العجين"**، كما أخرج عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك"** رواه ابن حبان وابن أبي عاصم، وصح بعض هذه الأحاديث الألباني وحسن البعض الآخر.

الباب الثاني: الأعمال الصالحة في هذه الأيام:

قال الله جل وعلا (وَالْعَصْرُ {1} إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ {3}) [سورة العصر] ومن أهم الصالحات ما دل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه عليه حيث قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: « لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » ثم قال: « ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل » ثم قرأ: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ - حتى بلغ - جَزَاءَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ثم قال: « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ » فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: « رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، ثم قال: « ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ » فقلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه ثم قال: « كف عليك هذا » فقلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: « ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟ » أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير الطبري وغيرهم ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم يحب معاذا حيث قال له: « يا معاذ إني أحبك وإني أصيبك، لا تدع أن تقول في دبر كل صلاة مكتوبة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ».

كما أوصاه صلى الله عليه وسلم عندما أوفده إلى اليمن قائلا: « يا معاذ أخلص في العمل يكفيك القليل » أخرجه أبو داود والنسائي وصححه النووي والألباني.

وقبل أن نسترسل في التعليق على أنواع البر التي أرشد النبي صلى الله عليه وسلم معاذا رضي الله عنه إليها هنا نود أن ننبه الجميع إلى أن الفقهاء أجمعوا على أن أي عمل صالح يقوم به المرء لا يتقبله الله إلا إذا توفرت فيه ثلاثة شروط هي:

- 1/ أن يكون هذا العمل نابعا من مسلم صحيح العقيدة.
- 2/ أن يكون موافقا لشرع الله لأن الله لا يعبد إلا بما شرع.

3/ أن يكون يؤديه بإخلاص بعيداً عن أمراض القلوب من تسميع ومرآة ورياء وكبر وعجب، إلخ.. قوله صلى الله عليه وسلم:

(1)- تعبد الله ولا تشرك به شيئاً: لقد فرض الله علينا أن نقرأ في كل ركعة من الصلاة سورة الفاتحة وفيها نقول: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: 5] فتقديم الم وصوف على الصفة عند الأصوليين والبلاغيين من صيغ الحصر، وهذا يعني أننا لا نعبد إلا الله ولا نستعين إلا بالله؛ وقال تعالى في سورة النحل: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) [النحل: 36] وقال تعالى: (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) [الزمر: 65] وقال تعالى في سورة النساء: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضللاً بعيداً) [النساء: 116] وقال تعالى في سورة الأنعام: (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) [الأنعام: 88] وقال تعالى: (إن الله لا يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) [المائدة: 72] وجاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » أخرج الإمام أحمد ومسلم والترمذي وابن حبيب وغيرهم.

وقال جل وعلا في سورة الذاريات: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {56} مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ {57} إِنْ اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ {58}) [الذاريات]. وقال في سورة البينة: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) [البينة: 5]. فالإشراك بالله محبط للعمل، لذلك لا بد من تحقيق ما يلي من أجل تصحيح الاعتقاد:

1- توحيد الربوبية: وهو أن نفر بأن الله خلقنا وربانا وأرسل إلينا رسلاً مبشرين ومنذرين، قال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا {15} فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً {16}) [المزمل].

وقال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25]. وقال جل وعلا: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلِ أَتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا

ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ [الرعد: 16]. وقال جل وعلا: (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {2} يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) [فاطر] بل إن هذا الأصل من أصول التوحيد يقر به المشركون والكفار، قال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [يونس: 31] والآيات كثيرة.

2- توحيد الألوهية أو توحيد العبادة: وهذا التوحيد يقتضي أن نفر بأن الله لا معبود بحق سواه لقوله جل وعلا: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {56} مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ {57}) [الذاريات] وقال تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا) [الإسراء: 39] ولقوله جل وعلا: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) [مريم: 65] وقال جل وعلا: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: 25] وقال جل وعلا: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) [الكهف: 110] كما جاء في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وابن حبيب وغيرهم من رواية أبي هريرة مع اختلاف في الألفاظ ، وقد ثبت أنه قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: « يا معاذ، أتعرف ما حق الله على العباد وحق العباد على الله؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» متفق عليه.

وقد جمع الله هذين الأصلين في آية قصيرة أوجب الله علينا قراءتها في كل ركعة من كل صلاة لأنها آية من الفاتحة ، وهي قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: 5] ومن المعلوم عند علوم البلاغة والأصول أن تقديم الموصوف على الصفة من صيغ الحصر، وهذا يفيد أنه لا نعبد إلا الله ولا نستعين إلا بالله، وقال تعالى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ

أَرَادَنِي اللَّهُ بَصْرًا هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمَسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ([الزمر: 38].

3- توحيد الأسماء والصفات: نلخص هذا النوع من التوحيد فيما صح عن السلف الصالح لأن الأصل في ذلك اتباع السلف الصالح من القرون المزكاة نبداً أقوالهم بقول إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله لما سئل من طرف أحد المبتدعة قائلاً: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كيف استوى؟ فأطرق حتى علتة الرخصاء (يعني العرق) ثم قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة» وفي رواية: «والإيمان به واجب» وقد نقل عنه الحافظ ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" حيث قال: «وعن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن عيينة وحماد وفي الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت نحو حديث تنزل الله وأن الله خلق آدم على صورته، وأنه يدخل قدمه في جهنم وما كان في مثل هذه الأحاديث وقد شرحنا القول في هذا الباب من جهة النظر والأثر وبسطناه في التمهيد» وقال الإمام الشافعي: «أمنت بما جاء من عند الله على مراد الله به وعقولنا معزولة عن التفكير في حقيقة ذاته ، قاصرة عن الإحاطة بكنه صفاته» وثبت عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: «كل ما يخطر ببالك فالله بخلاف ذلك» قلت وذلك لأنك بصفتك مخلوقاً لا يمكنك أن تتصور إلا صفة مخلوق والله جل وعلا ليس بمخلوق وصفاته غير مخلوقة لذلك قال شيخنا بداه بن البصيري: «من خالفت ذاته الذوات باينت صفاته الصفات» قلت لأن الصفة فرغ من الذات، وقال الرازي لما تراجع عن الاعتزال: «لقد جربت المناهج الفلسفية والمدارس الكلامية فما وجدتھا تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً وإن أصدق طريق طريق القرآن، اقرؤوا في الإثبات إن شئتم: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) و(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وفي النفي (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) و(وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا)» ثم قال رحمه الله: «من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» فالمطلوب منا على هذا المستوى أن نؤمن بكل ما أخبر به الله عن نفسه من صفة لذاته وأخبر عنه بها صلى الله عليه وسلم على مراد الله بها فعلينا أن نؤمن بها ونمرها كما جاءت من دون تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل، فمن شبه فكأنما يعبد صنما ومن أول فكأنما يعبد عدما كما صح ذلك عن الحميدي، شيخ البخاري وغيره.

4- ونوافل التوحيد الخالص الكلمة الطيبة: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ذكر الله جل وعلا، قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ } {190} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } {191} رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } {192} رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ } {193} رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ } {194} [آل عمران].

وهنا أخرج عبد بن حميد في تفسيره عن عطاء قال: دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعبيد الله بن عمير على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي في خدرها فسلمنا عليها فقالت: من هؤلاء؟ قال: فقلنا هذا عبد الله بن عمر وعبيد بن عمير فقالت: يا عبيد الله بن عمير: ما يمنعك من زيارتنا، قال: ما قال الأول: زرغبنا تزدد حبا، قالت: إنا لنحب زيارتك وعيشاتك، قال عبد الله بن عمر: دعينا من بطالتكما هذه أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: فبكت ثم قالت: كل أمره كان عجا أتاني في ليلتي حتى دخل معي فراشي حتى لصق جلده بجلدي، ثم قال: « يا عائشة انذني لي أتعبد لربي » قالت: إني لأحب قربك وأحب هواك، قالت: فقام إلى قربة في البيت فما أكثر صب الماء ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حقويه ثم جلس يحمد الله وأثنى عليه ثم بكى حتى رأيت دموعه بلغت حجره، قالت: ثم اتكأ على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده، قالت: ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض فدخل عليه بلال فأذنه بصلاة الفجر ثم قال: الصلاة يا رسول الله، فلما رآه بلال يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا وما لي لا أبكي وقد نزل علي الليلة (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ) - إلى قوله - سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) » ثم قال: «ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها» قال ابن كثير: وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتابه التفكير والاعتبار عن شجاع بن أشرس به ثم قال: حدثني الحسن بن عبد العزيز سمعت سنيدا يذكر عن سفيان الثوري رفعه قال: «من قرأ آخر آل

عمران فلم يتفكر فيها ويله يعد بأصابعه عشرا» قال الحسن بن عبد العزيز فأخبرني عبيد بن السائب قال: قيل للأوزاعي ما غاية التفكير فيهن قال: «يقروهن وهو يعقلهن» قال ابن أبي الدنيا وحدثني قاسم بن هاشم حدثني علي بن عباس حدثنا عبد الرحمن بن سلمان قال: «سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من ال تفكر فيهن وما ينجيه من هذا الويل فأطرق هنيهة ثم قال: يقروهن وهو يعقلهن» قلت والحديث أخرجه ابن مردويه وآخرون.

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ لَنْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } {135} أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْبَرُ ذُنُوبًا) [آل عمران] وقال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت: 45] وقال تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 35] وقال تعالى: (وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) [الأعراف: 205] وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } {41} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } {42}) [الأحزاب]

وأما فيما يتعلق بالأحاديث الواردة في فضل الذكر، نذكر:

1/ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، كمثل الحي والميت» رواه البخاري، ورواه مسلم بلفظ: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت».

2/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم» متفق عليه.

3/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبق المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» رواه مسلم.

4/ وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «أفضل الذكر لا إله إلا الله» رواه الترمذي وحسنه وصححه الألباني.

5/ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله تعالى» رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني.

6/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى ملائكة يطوفون في الطرقات يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيذا، وأكثر لك تسبيحا، فيقول: فماذا يسألون؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: فيقول: هل رأوها؟ قال: يقولون لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، قال: فممن يتعونون؟ قال: يقولون: يتعونون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون : لا والله ما رأوها، فيقول: كيف ولو رأوها ؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد منها مخافة، قال: يقول: أشهدكم أنني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم» متفق عليه.

7/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبِيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» أخرجه أحمد ومسلم والبيهقي وغيرهم.

8/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت عدل عشر رقاب وكتبت له مائة

حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحدا عمل أكثر من ذلك»
9/ وفي رواية ابن ماجه وغيره: «من قال حين يصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير عشر مرات كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي وإذا أمسى فمثل ذلك حتى يصبح» وفي رواية الترمذي وغيره: «من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثان رجله قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه، وحرز من الشيطان».

10/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» متفق عليه.

11/ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا لنذكر الله، قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: ما أجلسنا إلا ذلك، قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثا مني، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال: «الله ما أجلسكم إلا ذلك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك، قال: «أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة» رواه مسلم.

12/ وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل» متفق عليه.

13/ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده» رواه مسلم.

- 14/ وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض» رواه مسلم.
- 15/ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله تعالى على كل أحيانه» رواه مسلم.
- 16/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد» رواه مسلم.
- 17/ وعنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة، قال: «أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك» رواه مسلم.
- 18/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والله إنني لأستغفر الله، وأتوب إليه، في اليوم أكثر من سبعين مرة» رواه البخاري.
- 19/ وعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه، فإني أتوب في اليوم مائة مرة» رواه مسلم.
- 20/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» رواه مسلم.
- 21/ وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام» قيل للأوزاعي - وهو أحد رواة الحديث - كيف الاستغفار؟ قال: تقول: «أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله» رواه مسلم.
- 22/ وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» متفق عليه.

123/ وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ما أنه كان يقول دبر كل صلاة، حين يمسي: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» قال ابن الزبير: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهمل بهن دبر كل صلاة مكتوبة» رواه مسلم.

124/ وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في الكلم الطيب.

125/ وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

126/ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقيت إبراهيم رضي الله عنه ليلة أسري بي، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن وصححه الألباني وقبله ابن كثير.

127/ وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟» فقلت: بلى، يا رسول الله، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» متفق عليه، بل الحديث متواتر وقد خرجنا في كتابي "فتح الرب السائر لتمييز الحديث المتواتر"

128/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قعد مقعدا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى ترة، ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة» رواه أبو داود بإسناد حسن.

(2)- تقيم الصلاة: وقال: «وصلاة الرجل في جوف الليل»: وهنا دلالة على فضل الصلاة الواجبة المكتوبة وكذلك الصلاة النافلة في جوف الليل وغير ذلك والآيات الواردة في فضل الصلاة كثيرة جدا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- 1/ - قال تعالى: (الم{1} ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ }3} وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ }4} أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }5}) [البقرة].
- 2/ - قال تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) [البقرة: 238].
- 3/ - وقال تعالى: (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ }16} الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ }17}) (آل عمران].
- 4/ - وقال تعالى: (فَأَذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا) [النساء: 103].
- 5/ - وقال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ) [هود: 114].
- 6/ - وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِيمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [المائدة: 6].
- 7/ - وقال تعالى: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد: 22].
- 8/ - وقال تعالى: (قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ) [إبراهيم: 31].
- 9/ - وقال تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [الحج: 41].
- 10/ - وقال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت: 45].

والآيات الدالة على فضل الصلاة المكتوبة كثيرة جدا وكذلك صلاة التطوع نذكر منها:

أ- قال تعالى: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } 16 { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 17 {) [السجدة].

ب - وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ } 1 { فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا } 2 { نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا } 3 { أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا } 4 { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } 5 { إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلًا } 6 {) [المزمل] وقال: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [المزمل:20].

فالآيات في الباب كثيرة و"إنما هي عجالة للتذكرة مصداقا لقوله تعالى: (وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) [الذاريات 55] وقبل سرد بعض الأحاديث الواردة في فضل الصلاة المبينة لمكانتها من تزكية النفوس والارتقاء بالنفوس إلى السمو الذي من أجله فرضت الصلاة، وذلك لأن الصلاة هي العبادة أو الشعيرة الوحيدة التي لم ينزل بها جبريل من عند الله؛ كل الشرائع أو الأحكام الشرعية نزل بها جبريل من عند الله إلا الصلاة، فإنها لما أراد الله أن يفرضها على عباده أرسل إلى نبيه وخليفه ورسوله الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فارتقى فوق السماوات السبع العلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم في مكان من القرب من العزيز الجبار يسمع صريك الأعلام، قال تعالى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } 4 { عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ } 5 { ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ } 6 { وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ } 7 { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ } 8 { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ } 9 { فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ } 10 { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ } 11 { أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ } 12 { وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ } 13 { عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ } 14 { عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ } 15 { إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى } 16 { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا

طغى {17} لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى {18} [النجم] ومن الأحاديث

نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1/ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» أخرجه البخاري ومسلم، زاد مالك في الموطأ «فذلكم الرباط» ثلاثاً.

2/ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا لم تغش الكبائر» رواه مسلم.

3/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أفضل الصيام بعد رمضان: شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل» رواه مسلم.

4/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلكم مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا» متفق عليه.

5/ وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل الصلوات الخمس، كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات» رواه مسلم.

6/ وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فأنزل الله تعالى: « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ (هود: 114) فقال الرجل: ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم» متفق عليه.

7/ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله» رواه مسلم.

8/ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض

عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» متفق عليه.

9/ وعن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل الصفة رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته بوضوءه وحاجته فقال: «سلني» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود» رواه مسلم.

10/ وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» متفق عليه.

11/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحطت عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، ما لم يحدث، تقول: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة» متفق عليه وهذا لفظ البخاري.

12/ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله» رواه مسلم.

13/ وفي رواية للترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شهد العشاء في جماعة كان له قيام نصف ليلة، ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة» قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

14/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر أعماله على هذا» رواه الترمذي

وقال: حديث حسن وصححه الألباني وعزاه لأبي داود أيضا والجامع الصغير.

3. توتي الزكاة: وقال صلى الله عليه وسلم: «والصدقة تطفئ الخطيئة». قال تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [التوبة: 104].

وقال تعالى: (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } {140} وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } {141}) [الأنعام].

وقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {2} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } {3} أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } {4}) [الأنفال] وقال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) [التوبة: 18].

وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: 176] وأما الأحاديث فنذكر منها:

1/ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان» متفق عليه.

2/ وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد، ثائر الرأس نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس صلوات في اليوم والليلة» قال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صيام رمضان» قال: هل علي غيره؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع» فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد

على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفصح إن صدق» متفق عليه.

13 وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» متفق عليه.

14 وعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم» متفق عليه.

15 وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته، دخلت الجنة، قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» رواه البخاري ومسلم.

16 وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» متفق عليه.

17 وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» أخرجه البخاري ومسلم.

(4)- تصوم رمضان: وقال: «الصوم جنة»: فرض الصوم لتطهير النفس وتزكيتها والارتقاء بها إلى التقوى واتقاء كل ما حرم الله، قال تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} {183} أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {184} شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ

بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمَلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {185} وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ
الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ {186} أَحَلَّ
لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثَ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلَّمَ اللَّهُ
أَنْكُمْ كُنْتُمْ تُخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا
مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ
فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ {187} ([البقرة].

فتبين أن الصوم جنة يتقي به العبد كل ما حرم الله عليه ويجعله يتوق إلى
السمو والعلو بروح زكية تقية تغلبت على الشيطان والهوى بصيام اليوم
وقيام الليل وتلاوة القرآن، ولذلك كانت الفاصلة الأولى من الآيات التي
أوجبه "لعلمك تتقون" والآية الأخيرة من هذه الآيات " لعلمهم يتقون" ومن
الأحاديث المبينة لذلك نذكر هنا عجالة على سبيل المثال لا الحصر، ومن
ذلك:

1/ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله
تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام
جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله
فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله
من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي
ربه فرح بصومه» متفق عليه، وهذا لفظ البخاري وقد أخرجه في باب
فضل الصوم، وفي باب قوله تعالى: (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) من
كتاب التوحيد في كتاب ما يذكر في النسك ومسلم في باب فضل الصيام
والنسائي في باب فضل الصيام وابن ماجه في باب ما جاء في فضل الصيام
والدارمي في باب فضل الصوم ومالك وأحمد وغيرهم.
وفي رواية لمسلم: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي
وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها». وفي رواية لمسلم: «كل عمل ابن
آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قل الله تعالى: إلا
الصوم فإنه لي وأنا أجي به يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان
فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، واخلوف فيه أطيب عند الله من ريح
المسك».

12 / وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة» قال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم وأرجوا أن تكون منهم» متفق عليه.

13 / وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد» متفق عليه.

14 / وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا» متفق عليه.

تنبيه: إن تزكية النفس والخصال التي يربي عليها الصيام هي التي تمكن الحاج من أن يؤدي الحج المبرور. وهكذا فرض الحج ل كبح خيلاء إبليس حيث يعيش في جو تعس عندما يتجرد الحاج الكيس من مغبات الهوى ودع كل إبليس بالتوحيد النفيس "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك" انقياد وطاعة منذ الوهلة الأولى ليعيش لحظات امتحانات عباد الرحمن ويتصف بصفاتهم، أولئك هم الذين لا يغفر الله لهم سيئاتهم فحسب وإنما يبذل سيئاتهم حسنات، فعند كل خطوة وعند كل امتحان يتحسر الشيطان، وفي خضم خوضهم لغمرة كل ابتلاء يصبحون كالأولياء الذين قال في حقهم جل وعلا { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {62} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } {63} لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [يونس] لكن للوصول إلى تلك الدرجات العلى لا بد من تحصيل خصال حميدة بدونها تبقى تلك المواقف التليدة لا تعي حقيقتها إلا الأنفس السعيدة، فما هي إذن تلك الخصال الحميدة؟ إنها خصال عباد الرحمن الذين يبذل الله سيئاتهم حسنات، والتي فرض الصيام من أجل تربية النفوس عليها، قال جل وعلا في سورة آل عمران: { قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ دَلِكُمْ

لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} {15} الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا
أَمْنَا فَأَغْرَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} {16} الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} {17} شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [15 - 18]
وَقَالَ جَل وَعَلَا فِي سُورَةِ الْفِرْقَانِ: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ
يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} {63}
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} {64} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا
عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} {65} إِنَّهَا سَاعَتٌ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} {66}
وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} {67} وَالَّذِينَ
لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا
يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} {68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا} {69} إِلَّا مَنِ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ
اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} {70} { [الآيات 63-70]

فالصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار بالأسحار والعزوف عن
اللغو خصال حميدة من دونها لن يتمكن المرء من أداء حج مبرور، لذلك
ارتأينا تقديم عجالة نبرز فيها أهمية هذه الخصال علما بأن رمضان يأتي
كل سنة يدرّب عليها ويرغب فيها وبانتهائه تبدأ أشهر الحج ففي ذلك حكمة
من الله لا يعيها إلا من اصطفاه وأراد له الخير وفيه تناغم وتناسق عجيب:
1/ الصبر: الصبر صفة حميدة وخصلة رفيعة لا يتحصل عليها إلا من آمن
بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم
يكن ليصيبه، ومجازاة الصبر الجنة، قال تعالى: { وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } [فصلت: 35] وقد وردت في فضله
كثير من الآي والأحاديث بينا بعضها في كتابنا "صفات أهل السنة من
خلال القرآن والسنة" نذكر منها هنا حديث: "المسلم الذي يخاط الناس
ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخاط الناس ولا يصبر على
أذاهم" أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه عن ابن
عمر رضي الله عنهما، وحديث "أفضل الإيمان الصبر والسماحة" أخرجه
أحمد والبيهقي عن الحسن مرفوعا به وقد جاء رمضان يدرّب كل سنة على
هذه الخصلة الحميدة لقوله صلى الله عليه وسلم "إذا كان يوم صوم أحكم فلا
يرفت ولا يفسق فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنني صائم" أو إنني امرؤ

صائم" متفق عليه فلا بد للحاج من التحلي بهذه الخصلة لأداء حج مبرور
لقوله جل وعلا: { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } [البقرة: 197]

12/ الصدق: الصدق درجة هي الأخرى رفيعة وخصلة حميدة وصفة
سعيدة لأنها معارضة لصفات النفاق وبها ينال العبد الدرجات العلى، قال
جل وعلا في سورة النساء: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّاهِدِينَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
رَفِيقًا } [الآية: 69] فهؤلاء هم الذين فرض الله علينا سبع عشرة مرة أن
نسأله طريقهم لأنه كما عند الجمهور لا تقبل صلاة إلا بقراءة الفاتحة ولا
نسأل الله فيها إلا قولنا { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ } [الفاتحة] ونلاحظ أن الله ذكر في سورة النساء الصديقين بعد
الأنبياء وقبل الشهداء إن كان الواو للترتيب وقد جاء في جامع العلم وفضله
لابن عبد البر بأسانيد أن العلماء يأتون بعد الأنبياء بدرجتين وقبل الشهداء
بدرجة فإن كان الواو في الآية للترتيب فإنه يفيد أن الصدق مع الله ومع
الذات ومع الناس هو العلم النافع الذي ينجي من النار ويجعل الإنسان أفضل
من الشهيد، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الصدق
يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى
الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن
الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند
الله كذاباً" رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه،
ويأتي رمضان كل سنة يدرّب على هذه الخصلة كما أشار الحديث إلى ذلك
عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده ليس في
الصوم رياء" الحديث .

3/ القنوت: القنوت هو الذي يقيم الليل بعيداً عن الأنظار لقوله تعالى { إِنَّ
نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً } [المزمل:6] لأنها ساعة تجعله بعيداً
عن الأنظار وأمراض القلوب من تسميع ورياء ومراءاة وعجب بالنفس
وغير ذلك، وقد وردت في هذه الخصلة الرفيعة والصفة الحميدة كثير من
الآي من الذكر الحكيم وأحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومن
ذلك قوله جل وعلا: { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } {16} فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ
أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {17} [السجدة] ولقوله تعالى: { كَانُوا قَلِيلًا

مَنْ النَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ {17} وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ {18} } [الذاريات]

وفي الحديث الذي أخرجه أحمد بن حنبل وأبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا به: "عجب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطأته ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاة رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله تعالى فانهزموا فعلم ما عليه من الفرار وما له في الرجوع حتى أهريق دمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي، فيقول الله عز وجل للملائكة: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهريق دمه" وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت قريبا منه ونحن نسير، فقلت يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: "لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت، قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ { تتجافى جنوبهم عن المضاجع - حتى بلغ- جزاء بما كانوا يعملون } ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ فقلت بلى يا رسول الله؟ فقال: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه ثم قال: كف عليك هذا" فقلت يا رسول إنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: تكلمك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟" أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن كثير وغيرهم، فهذه الخصلة يأتي رمضان كل سنة يدرب عليها لا بأداء صلاة التراويح فحسب بل أيضا بإيقاظ الناس وقت السحور، وقت تنزل رحمات الله لقوله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يستغفرني أغفر له، من يدعوني أستجيب له، من يسألني أعطيه" حديث متواتر خرجناه في كتابنا "فتح الرب السائر لتمييز الحديث المتواتر"

4 / الإنفاق: الإنفاق من أعلى صفات عباد الله المخلصين ومن أنبل أخلاق بني آدم أجمعين، والإنفاق يفتح أبواب الرحمة، ويسد أبواب العذاب والسخط، ويمحو السيئات وقد وردت فيه آيات كثيرة وأحاديث شهيرة، منها قوله جل وعلا: { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } [هود: 114] وقال تعالى: { ادْفَعِ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ تَمْحُوهَا } وقال جل وعلا:

{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} {16} فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {17} [السجدة] وقال جل وعلا: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّنْهُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [البقرة: 261] وفي الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف" أخرجه أحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه عن بريدة، قلت فيأتي رمضان كل سنة يحث على الإنفاق وذلك لأن الصائم يحترق جوفه جوعا فينتبه الغني إلى أن الجياح من الفقراء يحتاجون عطاءه وإنفاقه ولذلك قيل سمي رمضان لأنه يرمض جوف الصائم أي يحرقه جوعا وعطشا وقيل سمي بذلك لأنه كان يأتي قي شدة الرمضاء.

5/ الاستغفار بالأسحار: الاستيقاظ عند السحر والاستغفار فيه من الخصال الحميدة والصفات السعيدة التي تؤدي إلى رضوان الله جل وعلا، وقد وردت في فضله آيات وأحاديث، نذكر منها قوله تعالى: { كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ } {17} وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } {18} [الذاريات] وقوله جل وعلا: { الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } {16} الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَاتِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } {17} [آل عمرا] وفي الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها:" فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: لمن هي يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائما والناس نيام" ولا يخفى أن رمضان يدرّب الصائم على الاستيقاظ في وقت السحر ليتناول وجبة السحور لقوله صلى الله عليه وسلم: "تسحروا فإن في السحور بركة" حديث متواتر خرجناه في كتابنا "فتح الرب لتمييز الحديث المتواتر" كما أنه تواتر حديث: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له" أخرجه مالك وعنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن نصر في قيام الليل والبيهقي في السنن وفي الأسماء والصفات وأحمد

والدارمي وابن ماجه، وقد خرجناه عن ستة وعشرين من الصحابة في كتابنا "فتح الرب السائر لتمييز الحديث المتواتر"

6 / الابتعاد عن اللغو: قال تعالى {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان 72:] وقال تعالى { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } {1} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ {2} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ } {3} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ } {المؤمنون: 1-3} وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" متفق عليه، فالموسم يجعل المكان والزمان لجني الأرباح وقطف الحسنات الدانية فلا ينبغي للمرء أن يشغل نفسه إلا بالتوحيد الخالص من خلال التلبية والأذكار والباقيات الصالحات.

(5)- تحج البيت: قال تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: 97) وقد تقدم أن آيات الحج كلها ذكر وتوحيد وإخلاص لله الواحد الأحد، وللتذكير، فقد قال تعالى: (لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ } {34} الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } {35} وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } {36} لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ } {37}) (الحج: من 28 إلى 35).

وقال تعالى قبل ذلك في سورة البقرة: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } {196} الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } {197} لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ } {198} ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } {199}) (البقرة) فهذا هو الركن الخامس من أركان الإسلام لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بني الإسلام على خمس:

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع عليه سبيلا» متفق عليه ونحن نعلم علم اليقين أن الصلاة تؤدي إلا الأذان والإقامة وكلاهما تجديد للشهادتين « الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله» سواء بتر جيع أو بغيره وبتربيع التكبير أو تثنيته حسب روايات أحاديث الأذان كما أنها تشتمل على الفاتحة وفيها: (إياك نعبد وإياك نستعين) وتشتمل على التشهد في الجلسة الوسطى وجلسة التسليم حيث نقر بالشهادتين قائلين: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله» علما بأن ألفاظ التشهد تخالفت حسب روايات أحاديثها إلا في الشهادتين، والركن الثالث الزكاة لتزكية النفس لقوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [التوبة: 103].

وكذلك الركن الرابع وهو الصيام فقد قال جل وعلا عنه: (وَإِيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: 183] وما هو الحج يعني الركن الخامس يبرز أن الميثاق الذي أخذه الله علينا ونحن في عالم الذر والأرواح أخذه علينا يوم عرفة، فجاءت الأحاديث تبين فضل الحج وأنه يرجع العبد كيوم ولدته أمه نقيًا من الذنوب، ومن ذلك:

1/ عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تابعوا بين العمرة والحج فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة» زاد الترمذي: «وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة» وقال: حديث حسن صحيح أخرجه الترمذي في باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة والنسائي في باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة وأحمد في المسند ومسلم وابن حزيمة وابن حبان وابن ماجه والبيهقي عن عمر والطبراني عن عامر بن ربيعة والبخاري عن جابر وحسنه المنذري وصححه البيهقي والسيوطي وغيرهما .

2/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» أخرجه البخاري في أول باب العمرة من كتاب الحج ومسلم في باب

فضل الحج والعمرة يوم عرفة والترمذي في باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة والنسائي في باب فضل الحج المبرور وباب فضل العمرة وابن ماجه في فضل العمرة والحج ومالك في باب جامع ما جاء في العمرة وأحمد في المسند.

3/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» وفي رواية: «من أتى هذا البيت، فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» أخرجه البخاري في باب فضل الحج المبرور وباب قول الله عز وجل: (وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) ومسلم في باب فضل الحج والعمرة وعرفة والترمذي في باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة والنسائي في باب فضل الحج والدارمي في باب فضل الحج والعمرة والإمام أحمد.

4/ وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم أكثر أن يعنق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، فإنه ليدنو عز وجل، ثم يباهي بك الملائكة، فيقول: ماذا أراد هؤلاء؟» وفي رواية: «انظروا إلى هؤلاء، جاؤوني شعثا غبرا فإني أشهدكم أنني قد غفرت لهم» أخرجه مسلم في باب فضل الحج والعمرة، والنسائي في باب ما ذكر في يوم عرفة وابن عبد البر في التمهيد.

6- الصدقة تطفئ الخطيئة: قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {261} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {262}) [البقرة] وقال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيهِ إِلَّا أَنْ تَغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ ([البقرة: 267] وقال تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [البقرة: 274] وقال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) [هود: 114]. وقال تعالى: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ {16} فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {17}) [السجدة]. والآيات في الباب أكثر مما تحصى في هذه

العجالة وهذا الحيز وإنما نركز هنا على أن الحسنات تتضاعف كما وكيف
بحسب المكان والزمان وأوقات تنزل نفحات الله ورحماته، وأما الأحاديث
نذكر منها:

1-1/ عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر
الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت
مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من
ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
مِمَّا تُحِبُّونَ) [آل عمران: 92] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تعالى يقول في كتابه: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى
تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وإن أحب مالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى
أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح وقد
سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا
رسول الله، فقسمها أبو طلحة على أقاربه، وبني عمه. متفق عليه.

2-1/ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الهي ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر
أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر
بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة» متفق
عليه.

3-1/ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله
تعالى، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه،
وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله،
ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر
الله خالصا ففاضت عيناه» أخرجه البخاري ومسلم ومالك وغيرهم.

4-1/ وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا، فسلطه على هلكته في الحق،
ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها» متفق عليه.

5-1/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم
أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا» متفق عليه.

6-1/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك» متفق عليه.

7-1/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» متفق عليه.

8-1/ وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» متفق عليه.

9-1/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» رواه مسلم.

(7-) **الجهاد في سبيل الله:** قام الإمام البخاري بتقديم كتاب الجهاد والسير في صحيحه بأيتين كريمتين هما: قوله تعالى في سورة التوبة: (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعتكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**) [الآية: 111] وقوله جل وعلا في سورة الصف: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ {10} تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {11} يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {12}**) [الصف].

وقال تعالى: (**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا {95} دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا {96} إِنْ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا {97}**) (النساء).

وقال تعالى: (فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصِرُوا لَهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: 5] وقال جل من قائل: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [التوبة: 29] وقبل ذلك قال جل وعلا في سورة الأنفال: (وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ) [الأنفال: 60] ومن السنة:

- 1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟، قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟، قال: «حج مبرور» متفق عليه.
- 2- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: الصلاة على وقتها» قيل: ثم ماذا؟، قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟، قال: «الجهاد في سبيل الله» متفق عليه.
- 3- وعن أنس رضي الهض عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة» وفي رواية: «لما يرى من فضل الشهادة» متفق عليه.
- 4- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله» متفق عليه.
- 5- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أي الناس أفضل؟ قال: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله» قال: ثم من؟ قال: «مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله، ويدع الناس من شره» متفق عليه.
- 6- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها» متفق عليه.

- 7-1/ وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وجرى عليه رزقه، وأمن الفتان» رواه مسلم.
- 8-1/ وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
- 9-1/ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
- 10-1/ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو ضامن على أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر، أو غنم، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئة يوم كلم، لونه لون دم، وريحه ريح مسك، والذي نفس محمد بيده، لولا أن أشق على المسلمين لما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سرعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده لو ددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل» رواه مسلم، وروى البخاري بعضه.
- 11-1/ وعنه رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» رواه البخاري.
- 12-1/ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها» حديث متواتر، خرجناه في كتابنا "فتح السائر لتمييز الحديث المتواتر" كما يلي:
- 13-1/ أنس بن مالك: أخرج حديثه البخاري ومسلم وغيرهما.
- 14-1/ أبو أيوب: أخرج حديثه أحمد ومسلم وغيرهما.
- 15-1/ سهل بن سعد: أخرج حديثه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.
- 16-1/ ابن عباس: أخرج حديثه أحمد ومسلم.
- 17-1/ أبو هريرة: أخرج حديثه أحمد والبخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم.

- 18- معاوية بن خديج: أخرج حديثه أحمد.
 19- ابن الزبير: أخرج حديثه البزار.
 20- عمران بن حصين: أخرج حديثه البزار.
 21- أبو أسامة: أخرج حديثه أحمد.
 22- سفيان بن وهب الخولاني: انظر في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي.

23- عمر بن الخطاب: انظره في المطالب العالية لابن حجر.

24- الزبير: انظره في مجمع الزوائد للهيثمي.

(13)- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق» رواه مسلم.

ورواه أحمد والنسائي والحاكم، وقد بسطنا الكلام حول هذه الآيات والأحاديث في كتابنا "إتحاف الإخوة والأحباب بالفرقان بين الجهاد والإرهاب" فراجع إن شئت والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(8)- صلة الرحم: قال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) [النساء: 36]. وقال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) [النساء: 1]. وقال تعالى: (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) [الرعد: 21].

1- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» متفق عليه.

2- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قال: بلى، قالت: فذلك لك» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقرؤوا إن شئتم: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ } 22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ {23}) [محمد] أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

- 3- وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه» أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.
- 4- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» أخرجه البخاري ومسلم.
- 5- وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً: وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم» أخرجه البخاري ومسلم.
- 6- وعن أبي عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاراً غير سر يقول: «إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين ولكن لهم رحم أبلاها ببلاها» متفق عليه وهذا لفظ البخاري.
- 7- وعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل أن هرقل قال لأبي سفيان: فماذا يأمركم به؟ - يعني النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قلت: يقول: «اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول أبؤكم، وأمرونا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة» أخرجه البخاري ومسلم.
- 8- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» أخرجه البخاري.
- 9- وعن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعنهما قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن» قالت: فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت له: إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله قد أمرنا بالصدقة، فأتته فسألته، فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيركم، فقال عبد الله: بل اتتبه أنت، فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بيباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتي حاجتها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ألقى عليه المهابة، فخرج علينا بلال، فقلنا: انت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟

ولا تخبره من نحن، فدخل بلال على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من هما؟» قال: امرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي الزيانب هي؟» قال: امرأة عبد الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لهما أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

10- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رجلاً قال: يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» رواه مسلم.

(9) - حفظ اللسان: قال تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء: 36] وقال تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق: 18].

1- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» رواه البخاري ومسلم.

2- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» رواه البخاري ومسلم.

3- وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» رواه البخاري ومسلم.

4- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب» رواه البخاري ومسلم.

5- وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال: «قل ربي الله ثم استقم» قلت: يا رسول الله، فما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

6- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي» رواه الترمذي.
7- وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

8- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالا يرفعه بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم» رواه البخاري.

9- وعن أبي عبد الرحمن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه» رواه مالك في "الموطأ" والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

قلت وقد علق ابن عبد البر في التمهيد وفي الاستذكار - بتصرف - على هذا الحديث مبينا أن الكلمة التي يرفع الله بها الإنسان درجات حتى يصل إلى رضوانه هي نصيحة أولي الأمر ومنعهم من ارتكاب المظالم وأن الكلمة التي تهوي بصاحبها في نار جهنم هي كلمة يؤلب بها ويحث بها السلطان على سفك الدماء وظلم العامة والأولياء، أو ما معنى ذلك والله أعلم.

10- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(10)- حسن الخلق والحياء: قال تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم4]. وقا تعالى: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ{34} وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُونَ عَظِيمٍ {35}) [فصلت].

- 1- عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً. متفق عليه وعن عائشة رضي الله عنها قالت لما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم: كان خلقه القرآن.
- 2- وعن النواس بن سمعان رضي الله عنهما قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم، فقال: «البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس» رواه مسلم.
- 3- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً» متفق عليه.
- 4- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذي» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.
- 5- وعن أبي هريرة رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الفرج والفرج» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.
- 6- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.
- 7- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن المؤمن ليذكر بحسن خلقه درجة الصائم القائم» رواه أبو داود.
- 8- وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم بببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» رواه أبو داود وصححه النووي.
- 9- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي، وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون» رواه الترمذي وحسنه.

- 10- وعن أنس رضي الله عنه قال: ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟» رواه البخاري ومسلم.
- 11- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.
- 12- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه فإن الحياء من الإيمان» متفق عليه.
- 13- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحياء لا يأتي إلا بخير» أخرجه البخاري ومسلم.
- 14- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه". رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
- 15- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

تم الكتاب والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين نسأل الله به الحسنی والفرديوس الأسنى آمين ، اللهم تقبل منا صالح الأعمال وتجاوز عنا سيئها بل نسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الحي القيوم أن تبدل سيئاتنا حسنات، اللهم بفضلك لا بعملنا فاعفو عنا يا رب العالمين.

الفهرست

02	المقدمة:
05	الباب الأول: سر فضل هذه الأيام:
05	الفصل الأول: كيف ومتى وأين أخذ علينا هذا الميثاق:
18	الفصل الثاني: الفرق بين العشر الأواخر من رمضان وهذه:
20	الفصل الثالث: كيف نحافظ على هذا الميثاق؟
29	الباب الثاني: الأعمال الصالحة في هذه الأيام:
30	1/ تعبد الله ولا تشرك به شيئاً:
38	2/ تقيم الصلاة:
43	3/ تؤتي الزكاة:
44	4/ تصوم رمضان:
51	5/ تحج البيت:
53	6/ الصدقة تطفئ الخطيئة:
55	7/ الجهاد في سبيل الله:
58	8/ صلة الأرحام:
60	9/ حفظ اللسان:
61	10/ حسن الخلق والحياء:

الفهرست

مقدمة الكتاب

.....
الباب الأول : سر فضل هذه الأيام

.....
الفصل الأول : كيف و متى و أين أخذ علينا هذا الميثاق ؟

.....
العصل الثاني : الفرق بين العشر الأواخر من رمضان و هذه الأيام

.....
الباب الثاني : الأعمال الصالحة في هضه الأيام

.....
1/ تعبد الله و لا تشرك به شيئا

.....
2 / نوافل التوحيد الخالص : الكلمة الطيبة

.....
3 / تقيم الصلاة

.....
4 / تؤتي الزكاة

5 / تصوم رمضان

.....

6 / الصدقة تطفئ الخطيئة

.....

7 / الجهاد في سبيل الله

.....

8 / صلة الرحم

.....

9 / جفظ اللسان

.....